مقومات السلم المجتمعي في القران الكريم واثاره

م . د . عبد الرزاق لطيف جاسم

كلية بلاد الرافدين الجامعة

الكلمات مفتاحية: السلم، المجتمع. الحقوق الاجتماعية. الانسان. القران الكريم.

الملخص:

يعد السلم المجتمعي الهدف والغاية الاسمى لجميع الشعوب والامم عبر التاريخ، اذ ان احد اهم المقاييس الاساسية لتقويم الشعوب والمجتمعات هو التشخيص السليم للعلاقات الداخلية السائدة بين افراده، فمتى ما كانت تلك العلاقات مبنية على السلام والوئام كلما كان ذلك مؤشرا ايجابيا على صحة المجتمع واستقراره، وانطلاقا من ان القران الكريم انما كان يؤسس لبناء مجتمع سوي اساسه السلم والسلام فقد جاءت العديد من الآيات القرآنية لتؤكد هذا الهدف وتجعله من المقاصد العليا للتشريع السماوي، لذا فإن البحث يسلط الضوء على مقومات السلم المجتمعي في القران واثاره على المجتمع الاسلامي، من خلال دراسة مفهوم السلم المجتمعي واهميته في التشريع الاسلامي، فضلا عن التعرض لأهم المقومات التي اسس عليها القران الكريم في بناء وارساء معالم السلم المجتمعي في المجتمع الاسلامي.

وفي ختام البحث توصلنا الى ان للسلم المجتمعي مقومات ومرتكزات في القرآن الكريم، قامت عليها أبرز المعاني الانسانية، وتداخلت مع نصوص الشريعة، ومقاصدها وتوجيهاتها، وهذا كله يدل على عظمة القرآن وملائمته لكافة الأزمنة والأمكنة، التي حدها وأناطها بمقاييس دقيقة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، المتعالي السلام، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد من بُعث بالسلم للناس كافة، وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، اما بعد.

فهذا بحث موجز عن مقومات السلم المجتمعي في القرآن الكريم وآثاره، اذ نال السلمُ في التشريع القرآني مكانة رفيعة، ليشكل خارطة دقيقة، تضبط المجتمع المسلم، وتحدُّ من ظلماته وغيه، فتسير به على منهاجٍ صارم، لترسي الأخلاق، وتهذب النفس.

أسباب اختيار الموضوع:

لم يكن هذا الموضوع ليغيب عن دائرة المهتمين بمشروع السلام المنشود، والذي طالما بقي قلقًا يستولي على النفس السوية، ولكن ما دعاني لاستدعاء هذا الموضوع واعادة الكتابة فيه: هو

1- أن العالم اليوم يبدو كغابة موحشة، القوي يأكل الضعيف، وسط سطوة سلطة المال وقيام الحرب وجب التذكير بالسلم ومفاهيمه، كعودة للأسس التي يفترض أن تتربى عليها النفس الانسانية سيما في المجتمعات الاسلامية.

2- السلم تزكية للنفس، وحدًا من الشر، لذلك وجب التذكير بتلك المفاهيم.

3- دراسة السلم المجتمعي هي نظرة في فلسفة شرعية مقاصدية، ضبطت الكثير من أحكام الشريعة، ووضعت مفاهيم عانينا من ويلاتها، كالجهاد، وما يتفرع عنه من أحكام.

المبحث الأول: في معنى السلم وأهميته

المطلب الأول: معنى السلم

1- لغة:

للسلم ذكر كثير في اللسان العربي، ومعانٍ تتغير بتغير الدلالات المتوارية في النص، فيكون السياق هو المتحكم في تلك الدلالة، وتبعًا لذاك السياق نعرف المعنى المقصود. والسلم في لغة العرب يدور في أربعة دلالات: اسم من أسماء الله الحسنى، واسم شجرة، وإنه دعاء الإنسان لأخيه الانسان أن يسلم من الآفات، ومتأتٍ من السلام، وهو دعاء[1]، جاء في الصحاح: ((والسلم: الصلحُ، بفتح وكسر، والسِلْمُ: المُسالِمُ. تقول: أنا سِلْمٌ لمن سالمني، والسَلامُ: السَلامَةُ، والسَلامُ: الاستسلامُ. والسَلامُ: الاسمُ من التسليم، والسَلامُ: اسمٌ من أسماء الله تعالى، والسَلامُ والسِلامُ أيضاً: شجَرٌ)).[2]

وكل هذه المدلولات تتحد في جوهر المعنى، والاتفاق على صون النفس البشرية من أهوائها وغيها وظلماتها، والسير في طريق الحق والنور، في الدنيا والآخرة، واتباع ما أمره الله من مقررات السلم، من حفظ النفس، وعدم الاعتداء، وردع النفس الأمارة، فالسلام قيمة معنوية، تبادلية، يصنعها كل انسان للآخر، حتى يسود السلم في المجتمع، يقول المولى: ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا))[3].

2-اصطلاحا:

في بحثنا عن السلم المجتمعي ومقوماته لا بدَّ أن نعرف مصطلح المجتمع قبل الخوض في تعريف هذا التركيب (السلم المجتمعي)، فالمجتمعي وهو نسبة للمجتمع، والذي يعني: عبارة عن مجموعة من الناس يعيشون في رقعة جغرافية محددة بصفةٍ دائمة أو شبه دائمة مع قيام العلاقات الانسانية بينهم وتبادل المنافع مع وجود قنوات الاتصال من حوار ونقاش واقتراب ومعايشة ومشاركة ومناصرة لبعضهم البعض، مع وجود العقائد الدينية التي تحكمهم.[4]

والتعارف أهمُ صفةٍ للمعايشة والتمازج الاجتماعي، كما أكد ذلك القرآن: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))[5]. فينشأ عن التعارف علاقات متباينة سلبا وايجابا، قد تستمر فترسي الحضارة الانسانية وترفدها بالمعرفة والتقدم، وقد تغوص وتلتوي وتتوارى فتطفو الحروب والخراب.

أما مصطلح السلم الاجتماعي فيعرَّف بأنه: ((توافر الاستقرار والأمن والعدل الكامل لحقوق الأفراد في مجتمع ما أو بين مجتمعات ودول)) [6]. فهو يعني التعايش والمناصرة، لتأخذ البشرية يدها من الظلام والضلال إلى النور.

المطلب الثاني: أهمية السلم في الإسلام:

عناية الإسلام بالسلم الاجتماعي:

الإسلام دين المحبة والسلام والأمن والاستقرار، يسعى لإقامة العدل والأمن والسلام بين جميع البشر ينطوي تحت منهجٍ إلهيٍّ ارتضاه الله لعباده، وقد عرفه العلامة عبد الله بن بيه –وهو صاحب مشرع رائد في السلم وماهيته وأهميته في العالم- السلم بأنه: ((حالةٌ تسود فيها الطمأنينة النفسية والروحية والسكينة بين أفراد المجتمع لتنعكس على العلاقات بين الأفراد والجماعات ليكون السلم الاجتماعي حالة من الوفاق وتضمن بالدرجة الأولى الكليات الخمس ومكملاتها: المحافظة على الدين، النفس، الأموال، الأعراض، العقول))[7].

وفي هذا التعريف إشارة إلى أن تحقيق السلم الاجتماعي مرتبط ارتباطا وثيقا بالضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بالحفاظ عليها وتحقيقها في حياة الناس، وكما قال الشاطبي رحمه الله: ((اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس))[8]

ويقول الشيخ ابن بيه حفظه الله: ((و بدون سلام لا حقوق ؛ لأن فقدان السلم هو فقدان لكل الحقوق بما فيها حق الوجود؛ فالسلام هو الحق الأول والمقصد الأعلى الذي

يحكم على كل جزئيات الحقوق ، ومن خلال الاستقراء الذي هو أوثق طريق لتأكيد المقصدية يمكننا أن نؤكد أنه لا مقصد يعلو على مقصد السلم)).[9]

ويمكن اعتبار هذا الكلام تأكيد واستطراد لكلام ابن قيم الجوزية رحمه الله الذي يقول: ((التحية بالسلام تتضمن السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها، فهي الأصل المقدم على كل شيء . ومقصود العبد من الحياة إنما يحصل بشيئين: بسلامته من الشر، وحصوله على الخير كله، والسلامة من الشر، مقدمة على حصول الخير، وهما الأصل، ولهذا إنما يهتم المخلوق بسلامته أولا ثم غنيمته ثانية، على أن السلامة المطلقة تتضمن حصول الخير فإنه لو فاته حصل له الهلاك والعطب أو النقص والضعف، فتضمنت السلامة نجاته من كل شر وفوزه بالخير، فانتظمت الأصلين اللذين لا تتم الحياة إلا بهما))[10]

وشيء من هذا الطرح نجده عند الطاهر بن عاشور الذي أكد على إن المقصد العام والمهم من التشريع الاسلامي وهو حفظ نظام الأمة وضرورياته واستدامة صلاحه.[11]

إن السلام مسئولية الفرد المسلم والمجتمع المسلم والأمة، والذي أكد عليه القرآن تأكيدًا لازما متواترًا قال تعالى : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[12].

فغاية القرآن السلام والهداية إلى صراط مستقيم عدلٍ، فالإسلام لم يكره أحدا قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول إلى الدين[13]، ونجد هذا واضحا في دعوة الإسلام للفرد والخلاصة إن من أسماء الله الحسنى (السلام)، وعلى المسلم أن يكون عنصر سلام في مجتمعه وأمته وتحية أتباعه (السلام) ويدعو إلى دار السلام، أي بتجنب كل ما يؤدي إلى إشاعة الفوضى والخراب، بل السلام الذي يعمر البشرية وينقذها من بشاعتها.

ليس بعيد أن نرى النبي صلى الله عليه وسلم يقرن الاسلام بالسلم، فمن سلم المؤمنون من عدائه ولسانه، فهو المؤمن الحق، السائر على محددات أخلاقية فرضها الاسلام، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[14]، ودعا إلى إشاعة السلام فيما بينهم مما يوثق أواصر التآخي الاجتماعي: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى كان ذلك إيذانا بظهور الدولة الإسلامية بإشراف تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)) [15] .

أسس السلم الاجتماعي في المجتمع النبوي:

لا يمكن الحديث عن السلم وأهميته ومشروعيته في الاسلام دون الخوض في تجربة الاسلام البكر، التجربة الفذة للنبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم) في تأسيس دولة المدينة وهي أول دولة اسلامية تقوم على أسس من العدالة الاجتماعية، فرضها الاسلام، واتبع النبي الأعظم نظامًا صارمًا يقوم على أساسٍ معتدل، وهي سنة إلهية اقتضتها ونفذها الأنبياء الكرام.

كانت هجرة رسول الله إلى المدينة تعني نشأة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، والهجرة النبوي حدث عظيم حتى غدا بداية العام الهجري الجديد عند المسلمين منذ أن وضع الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو نموذج فريد لسلوك طريق السلم والدعوة إليه.[16] حيث وضع التقويم الهجري[17]،وكان ذلك بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم باعتباره الأنسب والأقوى ويوقد في ذاكرة المسلمين حدثًا لطالما عدوه أساسا في تاريخهم بل جذرًا وبداية لتلك الحضارة العظيمة، إنها أحداث السيرة العطرة[18]، وبالهجرة بدأت الأحداث العظام والمهام الكبيرة الملقاة على عاتق سيد الخلق، ولكي يبدأ هذه المرحلة (تأسيس المجتمع والدولة المسلمة) لابدَّ من وضع الأسس القوية الصحيحة لها وكانت تتمثل في:

1- بناء المسجد هو مكان العبادة في المقام الأول إلا أنه مع ذلك كان المسلمون يلوذون إليه في كل أمر ، خاصة أن صاحب الدولة والرسالة ساكن فيه، على سبيل المثال :

1) إيواء ضعفاء وفقراء المهاجرين الذين عرفوا بأهل الصفة[19]، ونسبت الصفة إليهم، ثم صارت ينزل بها الغرباء من الوفود التي تقدم على النبي " معلنة إسلامها وطاعتها.

2) كان المسجد دارا للتعليم من أمور الدين والدنيا ونشر الدعوة بين المسلمين.

3) كان محفلا لإنشاد الشعر الذي يذب عن الدعوة الإسلامية وعن صاحبها محمد وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم.

4) كان مكانة لاعتقال أسير الحرب المشرك كما جاء في قصة ثمامة بن أثال.

5) نصب خيمة فيه لعلاج جرحى المسلمين في الحرب، كما في قصة خيمة رفيدة أيام غزوة الأحزاب.

6) كان ديوانا لاستقبال الرسل والسفراء الذين يفدون على رسول الله، وهم كثر خاصة في السنوات الاخيرة من حياة النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم).

7) كان مكانا لعقد ألوية جيوش وسرايا المجاهدين.[20].

2- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

لأهمية مبدأ التآخي بين المؤمنين في الإسلام وعظم آثاره على المسلمين فقد كانت المؤاخاة في السيرة مرتين،مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة ومرة بين المهاجرين والأنصار.[21] هذه المؤاخاة التي سعت إلى بناء مجتمع صامد متماسك كما تجلت بعد سنواتٍ قليلة من هذه المؤاخاة.

وكانت هذه الأخوة المدنية مهمة لحل الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة وتركهم المال فارين بأجسادهم وقلوبهم، ولتنظيم علاقاتهم الاجتماعية مع إخوتهم الأنصار ريثما يستعيد المهاجرون مقدرتهم المالية ويتمكنوا من بلوغ مستوى الكفاية الاجتماعية، وبلغ من تأكيد الرسول على المؤاخاة أن كان ميراث الأنصاري يؤول بعد وفاته لأخيه المهاجر بدلا من ذوي رحمه من الأخوة أو الأبناء أو النساء، واستمر الأمر كذلك حتى غزوة بدر حينما حظي المسلمون فيها بغنائم لا بأس بها.[22]

3- الصحيفة:

وهي تمثل القيمة الدستورية للدولة الوليدة والتي تنظم علاقة المواطنين بعضهم ببعض، وعلاقة الدولة مع الآخرين، ويرجح الدكتور أكرم ضياء العمري أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، ثم جمع المؤرخون بينهما؛ إحداهما تتناول موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود، والثانية توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار، وحقوقهم وواجباتهم.

لقد كان إصدار الوثيقة يمثل تطورا كبيرا في مفاهيم علم الاجتماع السياسي، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار بعد تاريخ طويل من العراك والقتال، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينة إلى أمد ولأول مرة بحكم القانون؛ حيث ترد الأمور إلى الدولة، ومن خلال تغيير شامل وتحول سريع طوى الدستور صفحة اجتماعية طابعها القبلية، وفتح صفحة جديدة لمجتمع مليء بالسلم والحياة الفاضلة .[23]

مما تقدم نخلص إلى أن الاسلام مبني على السلم، وهذه الدعوة ليست ضربا من المبالغة والانتصار لرأي أو ميل، بل حقيقة دلت عليه النصوص كما سنعلم في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: مقومات السلم المجتمعي في القرآن

هناك العديد من العوامل والمقومات للسلم المجتمعي في القرآن، تبدأ ملامحها من جذور لمح لها القرآن لتكبر في سلسلة متواثقة، فتشكل مفاهيم انسانية تتعاضد لتنقذ النفس البشرية، وفيما يلي سنناقش ابرز تلك المقومات.

المطلب الأول: هداية النفس البشرية

السلم بمعانيه المتعددة والكثيرة من أهم أسباب السعادة للبشرية جمعاء، لذلك جاء الخطاب القرآني يدعو إلى هذه الدعوة شاملا مكثفا قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)) [24].

وهذا نداء يقتضي الأمر من الجليل لعباده المؤمنين ليستجيبوا له كما ينبغي لأي انسان يتمتع بحسٍّ انساني بانخراطهم في دائرة السلم كافة وأن يتجنبوا خطوات الشيطان وإغوائه.[25] ومعنى الإسلام الشامل هو دوام الأمر الصالح، والعمل النافع، والقلب السالم، والنفس الطيبة الرضية مع الله أولا، ومع الخلق ثانية، وهذه المعاني تشمل الصلح والمصالحة والسلام والمسالمة والعفو والمسامحة. ولذا قد أمر الخالق عباده بما يعيد لهم الأمن النفسي والعلاقات الاجتماعية وللمجتمع توازنه واعتداله وحالته السوية وسلامه الاجتماعي وهو العمل بجميع شرائعه وإقامة جميع حدوده وأحكامه وإتباع نهجه وسنة نبيه.

والدخول في الإسلام هو العلاج الشامل لأنه تجاوز خطر يهدد العلاقات والنسق الاجتماعي والصلات بين الخلق وكذلك كل من ذهب بمثل مذهبه أو اتصف بصفات اليهود أو اقتدي بهم وعمل مثل عملهم من سائر أهل الملل والنحل المختلفة والديانات الذين يقدسون العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تخالف روح الإسلام وتعاليمه وأهدافه كالتحالف على الباطل. بدواعي الحمية والعصبية والإفساد في الأرض وإثارة عوامل العزل العرقي والتعنصر الجهوي والإقصاء الأثني، فكل ذلك من العوامل التي تؤدي إلى العلل الاجتماعية واضطراب العلاقات الإنسانية بين المجتمعات، وتفكك وتدمر الوحدة الاجتماعية. ولذا أمر الله جلَّ شأنه وعظم قدره عباده المؤمنين جميعا أن يتبعوا ما فيه صلاحهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة بصون أنفسهم وحياتهم ومجتمعاتهم وعلاقاتهم بالدخول في شرائع الإسلام وترك أعمال الفساد في الأرض وجميع المعاصي والذنوب. لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل الإنسانية عن بلوغ غاياتها الدنيوية والأخروية معا. قال الرازي: ((أن ترك عمل كل ما يخالف أمر الله وأمر رسوله يصلح أن يسمي تركها بالسلم لأن المراد من السلم هو الانقياد لله في الطاعات وترك المحظورات))[26]. وذكر أن حذيفة ابن اليمان قال في هذه الآية أن الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم والزكاة سهم والصوم سهم والحج سهم والعمرة سهم والجهاد سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم وقد خاب من لا سهم له في الاسلام[27].

كذلك توعد الله الذين لا يؤمنون بعد ايراد الأدلة بالله بأشد العقوبات وايقاعهم، فهم ليسوا أكثر من أداة لتدمير النسق الاجتماعي: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)) [28].

المطلب الثاني: الحقوق والصلات الاجتماعية

إن حقوق الإنسان التي أقرها الإسلام تعتبر من أشرف المواثيق الإنسانية وأرقاها، يهدف الإسلام بتلك الحقوق التي شرعها إلى تشريف البشر وصون كرامتهم وتحقيق سعادتهم وإزالة الظلم والظلمات التي ملئت البشرية أبان ظهورها، وإزالة كل عوامل الاستغلال والاستعلاء ومعوقات الحياة، لأن هذه الحقوق مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقيم الإيمانية والروحية، وانتهاك هذه الحقوق يعني التأثير المباشر في إيمان الناس، وحفظه و صيانته يعني حفظ وصيانة الإيمان للفرد والجماعات والسلم المجتمعي. [29]

من هذه الحقوق:

-الإحسان إلى الأصول والفروع:

بعد إصلاح الصلة مع الخالق بالمحافظة على أسس هدايته وأداء واجباته ومراعاة عهوده ومواثيقه جاء دور أهمية إصلاح الصلة مع الأسرة لأن بعد نعمة الخلق من العدم هو نعمة الولاده من الأبوين ولذا أمر الله بالإحسان و الوفاء إليهما. قال تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)) [30].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم: ((أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي؟ قال ثم بر الوالدين قالت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله))[31] وبهذا أخبر صلى الله عليه وسلم أن بر الوالدين من أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام وأعماله، فحقوقهما بعد حقوق الله.. ويكون الإحسان إليهما بطاعتهما والاستجابة لأمرهما وقضاء حوائجهما وبإدخال السرور إليهما.

-حقوق ذوي القربى:

بالتسلسل من الأهم إلى المهم لتحقيق الأمن والسلم الاجتماعي تأتي بعد درجة ومنزلة الوالدين درجة ذوي القربي، وهم غير الأصول والفروع من الأقارب وهذه المراعاة تقتضي أن لا يكون في الأسرة الواحدة غني مترف مغتر بظواهر الثروة وفقير يتكفف في الطرقات إلحافا لابد أن يتضامن أبناء الأسرة الواحدة لسد ثغرات الفقر وتحقيق غاية الحياة لأفرادها لأنّ غاية الحياة الإنسانية تعاون وتكاتف وتساند وتبادل وتكافل. وقد أمر الخالق بذلك قال تعالى: ((وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا))[32].

وقال أهل العلم عن الآية أنها نزلت في قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم فأمر نبيه بإعطائهم حقوقهم من بيت المال من سهم ذوي القربي والمعني عام يتعين في كل صلة رحم وقربي من الأهل لسد الخلة والمواساة عند الفاقة والحاجة بالمال والمعونة أو بكل أوجه المساعدة حسب الإمكان وتأتي أولويه ذوي القربي بناء على نص الكتاب في كل شئ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض.

والإسلام جعل لغير مستحقي الميراث حق سوي الميراث: ((وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا))[33].

وذلك لحفظ الصلة وتطيب النفوس وتطهير القلوب من الحسد. وكذلك فتح الإسلام باب الإحسان إليهم واسعة. فدعا إلى أن يكفل القادر العاجز من أصوله وفروعه وأن يساهم في كفاية حاجات الآخرين، وأن يفتح عينه على إكرامهم ويتسارع إلى إعانتهم.

المطلب الثالث: الحقوق الشخصية

لم يقتصر الأمر على الحقوق لذوي القربى والاحسان، بل كفل الحقوق الشخصية، فوضع للإنسان جملة من الحقوق:

1-حق الحياة: ويعتبر من أهم الحقوق المشروعة، لذلك شدد الله على القاتل والسالب لحقوق الآخرين بالعيش، ووضع روادع وموانع وعقوبات في الدنيا والآخرة. قال المولى: ((وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورً))[34].

2-حق الكرامة الانسانية والحرية: يولد جميع الناس أحرارًا متساوون في الكرامة والحقوق، وعليهم أن يعاملوا روحهم بالآخاء، كما نص عليه الاعلان العالمي لحقوق الإنسان، وقد شدد القرآن على حقه الذي وهبه الله للإنسان: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)).[35]

3-حق صون العرض وحفظه: فمن رحمه الله أن وهب للإنسان حرية الزواج، ليراعي غريزة الانسان، وميله نحو الأنثى، فرزقه العفة، بأن جنبه الحرام: ((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)).[36]

وشدد على منتهك العرض، وجعل له عقوبة قاسية، لأن الأعراض يجب أن تحفظ: ((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)) [37].

فهذه الآية حرمت الزنا ودواعيه وبينت خطرها وشرها على الأسر والأفراد والمجتمع، وفسادها للأخلاق وخلط الأنساب ودفع المجتمع إلى الاضطراب بعوامل فقدان الثقة والحمية

للأسرة. مما يؤدي إلى جرائم القتل وغير ذلك من المفاسد الاجتماعية وهذا يقتضي حماية الاسرة من كل عوامل التعرض والانتهاك والاعتداء صيانة لها وحفظا للنظام الاجتماعي من التفكيك والانهيار وحفظ السلم المجتمعي لأن صيانة الأسرة بحفظ شرفها وكرامتها وعرضها موافقة لفطرة الانسان وما ركب به من غريزة.

المطلب الرابع: تزكية النفس

إن محور المنهج القرآني في كثير من أجزائه يتعلق بالنفس وأنواعها وخواصها ونزعاتها، لأنها إذا استجابت واتبعت وضبطت استقام البدن والجوارح وإذا طغت وعلت وفرت عن ربها بعتوها هلكت وهلك معها البدن قال تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا))[38].

وقال: ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى))[39]. والنفس هي المعادلة الصعبة في تمييز أعمال الانسان من خير وشر، وسلب وإيجاب: ((ذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ)) [40]، وهذه الآية بينت أن من شأنها عدم الثبات والاستقرار على حال واحد، وكذلك اضطرابها وتقلبها في حالتي المساس بالخير والمساس بالشر، وكذلك للنفس اتجاهات كثيرة غير أتجاه العقل، لذا جاء فلسفة المنهج القرآني في تسليم النفس للعقل إذ تكون تحت إدارته وإشرافه، وقد جاء القرآن بكثير مما يثير العقل ويوقظه من الغفلة والتبعية للنفس من التصوير الفني للمشاهد الغيبية والالتفات إلى الذات وإلى ما حول الذات من المخلوقات الكونية ودقائق الأشياء وحقائق الوجود وكذلك من رحمة الله بالنفس الإنسانية بأنه ألهمها فجورها وتقواها أي أفهمها إياها وعرفها حالها من الحسن والقبح قد أفلح وفاز ونجا من زكاها وقد خاب وخسر من نقصها بالفجور[41]. وهذا يقتضي معرفة طبيعة النفس الإنسانية لحفظها وصونها وصون الأمن والسلام الاجتماعي.

النفس الإنسانية:

للنفس الإنسانية جوهرٌ عظيم لها غذاؤها و عوامل تقويمها، كما أن ظاهر الإنسان بدن وجوارح تحتاج إلى غذاء ودواء وكساء ورعاية واهتمام ومسكن ودفاع، كذلك النفس تحتاج إلى رعاية وتربية وتزكيه وتهذيب. وتأتي أهمية التزكية والتهذيب لأن للنفس حالات قبيحة ميالة إلى الشر وفرارة من الخير فلابد من تزكيته.[42] إذا تركت ركنت وركضت وراء شهواتها وجرت وراء ملذاتها ومساوئ أخلاقها، وأصبحت أمارة بالسوء ومطية لتنفيذ مخططات الشيطان. قال الجوهري: إن الأرواح ذات أميال بهيمية فلابد من تزكيتها وإصلاح ما بها من الرذائل والشوائب وتطهيرها من الأوزار، فبهذا تندرج شيئا فشيئا إلى المراكز العلوية

وجاء في الأثر في حديث ابن أبي ذئب عن محمد بن عمر وبن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالت: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان: قال: فتقول ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان فيقولوا مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وأبشري بروح وريحان : وإذا كان الرجل السوء: قالت أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال : من هذا؟ فيقولون فلان فيقولون: لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث أرجعي ذميمة فإنها لن تفتح لك أبواب السماء. فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في فترة غير فزع ولا مصعوق. ثم يقال فما كنت تقول في الإسلام يا هذا الرجل؟ يقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من قبل الله فأمنا وصدقنا))[43]. وقال العلماء أن الروح كلم، اكتسبت رقيا في عالم الروح انتقلت إلى ما هو أعلي منه. وليست الأجسام بغليظة إلا في العوالم السفلية ثم بعد ذلك تكون الطف وأقل مادة شيئا فشيئا حتى تشابه الجسم الروحاني في لطافتها وهي في كل عالم من العالم التي تحل فيها تعطي قوة لترتقي بها إلى ما هو أعلي ولا يزال كذلك حتى يصبح من عداد الملائكة الذين يديرون حركات العوالم.[44]

ولسلامة النفس من عوامل الانحطاط والتمزق والصراع الداخلي والتوزع والانقسام بين الغايات المتعددة والاتجاهات المختلفة، لابد من تزكيتها وتطهيرها وخلق التوازن بين رغباتها ومتطلبات الدين وسموها إلى آفاق السمو الإنساني.[45] حتى يتم قبولها والسماح لها بالخلود في النعيم السرمدي في روح وريحان وجنة نعيم. لأن النفس الطاهرة تكون منجذبة إلى المعالي مترفعة عن أسباب الانحطاط وبالتالي يرتقي معها السلوك، الأقوال والأعمال وهذا من أهم مرتكزات السلام والأمن الاجتماعي وفي مقابل ذلك أن الأنفس الهيمية المنحطة. من أنواعها:

1- النفس المطمئنة: وهذا أعلي المراتب وتسمي مطمئنة باعتبار طمأنتها إلى ربها بالعبودية الخالصة والمحبة الصادقة وبالإنابة والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه والخوف منه والرجاء إليه وقطع النظر عن محبة غيره والشوق الدائم إليه وإلى لقائه قال تعالى: ((يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27)ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي))[46].

2-النفس اللوامة: وهي النفس التي لا تثبت على حالةٍ واحدة، بل تبقى متراوحة بين الندم والخطيئة: ((لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)).[47]

3-الأمارة: وهي التي تحدو نحو السوء والشر والخطايا: ((وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ))[48]. وهذه النفس مليئة بالشر وتدعو إلى السيئات ولذا إذا تركت من غير عناية وتهذيب هلكت وهلك صاحبها وإذا التزم صاحبها منهج التربية والتزكية وسأل الله الهداية نجت ونجا صاحبها ولهذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يعلم أصحابه الاستعانة بالله من شرور النفس (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاد له).[49]

الخاتمة:

الحمد لله على التمام، والآن نقف على أهم النتائج التي توصل لها الباحث من خلال ما تناوله البحث من معلومات بالاعتماد على ما تضمنه من مصادر:

1) للسلم الاجتماعي مقومات ومرتكزات في القرآن الكريم، قامت عليها أبرز المعاني الانسانية، وتداخلت مع نصوص الشريعة، ومقاصدها وتوجيهاتها، هذا كله يدل على عظمة القرآن وملائمته لكافة الأزمنة والأمكنة، التي حدها وأناطها بمقاييس دقيقة.
2) أهم هذه المقومات: هداية البشرية، حقوق الإنسان، الحقوق الشخصية، حق الله على العبد، النفس وماهيتها.
3) لقد جاء القرآن بمقاييس دقيقة، إذ تعد العقوبات من أهم الطرق لحفظ النفس البشرية ، وارساء منظومة الدولة والمجتمع ونفي التخلل فيه.

الهوامش

(1) ينظر: مرتكزات السلام الإجتماعي في القرآن: اسماعيل آدام، رسالة دكتوراه، الخرطوم، 2008: 14.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين– بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ - 1987 م: 5/ 1951.

(3) الفرقان: الآية (٦٣).

(4) ينظر: التربية الاجتماعية والاسلامية: د. علي عبد الكريم محمود، دار التوزيع الاسلامية، القاهرة، 2001: 20.

(5) الحجرات: الآية(١٣).

(6) الحوار وبناء السلم الاجتماعي: د. خالد محمد البديوي، طبعة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط1، 1432: 12.

(7) مجلة السلم: مجلة فصلية تصدر عن منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، عدد خاص ربيع الأول 1438: 22.

(8) الموافقات للامام الشاطبي: 10/3.

(9) مجلة السلم: 23.

(10) بدائع الفوائد ،:لابن القيم، دار الخير- بيروت، 1414: 2/125 .

(11) مقاصد الشريعة الإسلامية: لابن عاشور، دار النفائس، ط2: 273.

(12) المائدة: الآيتان(١٥ – ١٦).

(13) ينظر: أحكام أهل الذمة :لابن القيم، تح: صبحي الصالح، دار العلم الملايين: (1/194 - 195.

(14) أخرجه البخاري (6484) مختصرا، ومسلم (41) مختصرا، والترمذي واللفظ له (2627) وقال حسن صحيح، والنسائي في الصغرى (4995).

(15) أخرجه مسلم (54). وانظر في تحية المسلم (السلام عليكم) في أحكام أهل الذمة (1/195).

(16)ينظر: فقه السيرة للبوطي: دار الفكر العربي: 193.

(17)ينظر: المجتمع المدني في عهد النبوة : د. أكرم ضياء العمري، الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة: 65.

(18) ينظر: السيرة النبوية: لمحمد أبو فارس، دار الفرقان – الأردن، ط1: 234.

(19) ينظر :المجتمع المدني في عهد النبوة: 89.

(20) ينظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: محمد رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، ط1: (297، 298.)

(21) فقه السيرة للبوطي: 203، نقلا عن فتح الباري (7/191).

(22) ينظر: دراسة في السيرة : عماد الدين خليل، دار النفائس-بيروت، ط9: 153.

(23) المجتمع المدني في عهد النبوة :112، وانظر معنى الوثيقة :119 وما بعده من المرجع نفسه.

(24) البقرة: الآية (208).

(25) ينظر: مرتكزات السلم المجتمعي في القرآن: 60.

(26) مفاتيح الغيب: للفخر الرازي، المطبعة البهية-القاهرة، 1938: 226/5.

(27) ينظر: المصدر السابق نفسه: 228.

(28) الأعراف: الآية (١٧٢).

(29) ينظر: حقوق الإنسان في السعودية قراءة موضوعية لحملات التشكيك والمنهج الإسلامي: عبد المحسن عبد الكريم، ط1 دار اشبيليا 2002م: 11.

(30) الإسراء: الآية (23).

(31) الأدب المفرد بالتعليقات :محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ،أبو عبدالله (ت256هـ)حققه وقابله على أصوله:سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1،(1419هـ. 1998م)، باب قوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) : 3/1 .

(32) الإسراء: الآية (٢٦).

(33) النساء: الآية (٨).

(34) الإسراء: الآية (33).

(35) الإسراء: الآية (٧٠).

(36) الروم: الآية (21).

(37) الإسراء: الآية (٣٢).

(38) الشمس: الآيتان (٩ - ١٠).

(39) النازعات: الآيات (٣٧ – ٤٠).

(40) المعارج: الآيات (١٩ – ٢٢).

(41) ينظر: تفسير ابي السعود الإرشاد والعقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العماري، دار احياء التراث العربي-القاهرة: 115.

(42) سراج الطالبين على مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين: للغزالي: 13/2.

(43) أخرجه أحمد بأسناد صحيح في مسنده 2/364/6/139

(44)تفسير الجواهري: للجواهري: 4/ 16.

(45) الخصائص العامة للإسلام: يوسف القرضاوي، ط (6) مؤسسة الرسالة 1988م :18.

(46) الفجر: الآيات(٢٧ – ٣٠).

(47) القيامة: الآيات (١ –4).

(48) يوسف: الآية (53).

(49) تفسير الطبري: 87/3.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1) أحكام أهل الذمة، لابن القيم، تح: صبحي الصالح، دار العلم الملايين.

2) الأدب المفرد بالتعليقات :محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري ،أبو عبد الله (ت256هـ) حققه وقابله على أصوله :سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط1،(1419هـ. 1998م).

3) بدائع الفوائد ، ابن القيم، دار الخير، بيروت، 1414هـ

4) التربية الاجتماعية والاسلامية، علي عبد الكريم محمود، دار التوزيع الاسلامية، القاهرة، 2001.

5) تفسير ابي السعود الإرشاد والعقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العماري، دار احياء التراث العربي-القاهرة.

6) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، مطبعة دار المعارف القاهرة .

7) حقوق الإنسان في السعودية قراءة موضوعية لحملات التشكيك والمنهج الإسلامي، عبد المحسن عبد الكريم، ط1 دار اشبيليا 2002م.

8) الحوار وبناء السلم الاجتماعي،د. خالد محمد البديوي، طبعة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط1، 1432.

9) الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، ط (6) مؤسسة الرسالة 1988م.

10) دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، دار النفائس-بيروت، ط9.

11) سراج الطالبين على مناهج العابدين إلى جنة رب العالمين، للغزالي.

12) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، محمد رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، ط1.

13) السيرة النبوية لمحمد أبو فارس ، دار الفرقان – الأردن، ط1.

14) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م.

15) فقه السيرة، محمد سعيد البوطي، دار الفكر العربي، 2005.

16) المجتمع المدني في عهد النبوة، أكرم ضياء العمري، الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة.

17) مجلة السلم، مجلة فصلية تصدر عن منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، عدد خاص ربيع الأول 1438.

18) مرتكزات السلام الإجتماعي في القرآن، اسماعيل آدام، رسالة دكتوراه، الخرطوم، 2008.

19) مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، المطبعة البهية-القاهرة، 1938.

20) مقاصد الشريعة الإسلامية، لابن عاشور، دار النفائس، ط2.

Elements of social peace in the Holy Quran and its effects

Dr. Abdul Razzaq Latif Jassim

Al-Rafidain University College

DrAbdAlrazaaq@bauc14.edu.iq

Keywords: peace, society. social rights. Human. The Holy Quran.

Summary:

Societal peace is the goal and ultimate goal for all peoples and nations throughout history, as one of the most basic measures for evaluating peoples and societies is the proper diagnosis of the prevailing internal relations among its members. That the Holy Qur'an was the basis for building a society whose foundation is peace and justice, many Qur'anic verses came to confirm this goal and make it one of the supreme purposes of heavenly legislation, so the research sheds light on the elements of societal peace in the Qur'an and its effects on the Islamic society, by studying the concept of peace Societal and its importance in Islamic legislation, as well as exposure to the most important elements upon which the Holy Qur'an was based in building and establishing the features of community peace in the Islamic society.

At the end of the research, we concluded that social peace has foundations and foundations in the Holy Qur'an, on which the most prominent human meanings were based, and intertwined with the texts of Sharia, its purposes and directives, and all of this indicates the greatness of the Qur'an and its suitability for all times and places, which it defined and entrusted with precise standards.